القصة حول العالم

بقلم : على شلش

هل يستمر عام الرواية

فى العدد الأول من هذه المجلة عرضنا للمؤتمر الضخم الذى شهدته مدينة لينينجراد فى أغسطس ١٩٦٣ ، ونظمته جماعة الكتاب الاوربيين حول موضوع «الرواية المعاصرة» .

وقد أثار هذا المؤتمر الاول من نوعه العديد من المساجلات والمناقشات لا تزال تتردد بين حين وآخر على امتداد القارة الاوربية ، رغم مرور أكثر من عام على انتهاء المؤتمر .

وقد نشرت مجلة (الادب السوفييتى) تحقيقا حول المؤتمر جعلت عنوانه : « عام الرواية لايزال متصلا » استهلته بقولها ان الكتاب من مختلف الأمم والمعتقدات يجمعون على تسمية العام الماضى ـ ١٩٦٣ ـ بعام الرواية ، ثم عرضت لبعض التعقيبات التى لا تزال تنشرها الصحف السوفييتية والأوربية بأقلام كتابها ونقادها ، فقد كتب الناقد السوفييتى «ايفان أنيسيموف» مدير معهد جوركى للأدب العالمى ، يقول :

كان الموضوع الذى تناوله النقاش هو الرواية المعاصرة ، وبالطبع كان من الامور التى تستحق القاء الضوء عليها أنه لم يكن ثمة فروق فى معالجة الرواية كشكل فنى فحسب ، ولكن كانت ثمة فروق أيضا فى الأهداف التى يسعى اليها الكتاب أنفسهم فقد أشاع ممثلو الأدب الاشتراكى مفهوما هاما مقنعا حول وظيفة الرواية كشكل فنى مقدر عليه أن يلعب دورا فى خلق قيم انسانية واجتماعية جديدة ، وكانت الرواية فى نظرهم أداة بناءة بأشد مافى الكلمة من معانى أدبية .

وعلى المنصة ذاتها أثير مفهوم مخالف .. يوحى بأن الرواية فقدت ارتباطاتها بالمجتمع وانها لايمكن أن تعكس شيئا سوى طابع الانحطاط الروحى الذى يسود العالم البرجوازى المعاصر .

ولعلى أقول ، دون ما خوف من استخدام الألفاظ الطنانة ، ان السعى وراء رواية **تصور الوفاق الانسانى وشموله قد وقف وجها لوجه امام الحث على خلق رواية تصور الانحطاط والتنافر .**

وكتب الشاعر والكاتب الأوكرانى ميكولا بازهان تحت عنوان « لن ينقطع الحوار» ، فأيد فكرة التعاون الدولى بين الكتاب فى السعى وراء حلول لمسائل علم الجمال ، ودلل على أن المؤتمر قد أظهر أن تنمية النقاش وتطويره ليسا ممكنين فحسب ، ولكنهما أساسيان ، وأن النقاش فى حد ذاته كان مفيدا وينبغى أن يستمر .

وكتبت الناقدة السوفييتية **تامارا بالاشوفا** تحت عنوان : « **مناقشات حول الرواية الجديدة** » تتساءل عن جوهر التجديد الذى أضافته المدرسة الفرنسية فى الرواية الى حصيلة التراث الروائى العالمى ، وحاولت فى مقالها هذا أن تحلل الأسس التى قامت عليها هذه المدرسة ، وكان مما قالته :

« ان الصراع المأساوى بين الفرد والعالم الذى تصوره وتضخمه الرواية الجديدة يتكشف عن طريق صرخة جنون عديمة الشكل أو عن طريق وصف قليل الأهمية لبعض النزاعات السوقية التى تحدث فى الحياة اليومية » .

ثم تضيف بالاشوفا بأن كشف النقاب عن الحياة اليومية ، وتصوير الأنماط العادية من الناس ، مما يلح عليه الروائيون الجدد انما هو اتجاه سيء للرواية ، ذلك لان كشف النقاب ليس معناه النقل الحرفى أو النسخ ، ولكنه يعنى التحليل والبحث عن الجذور والأسباب وتقول بالاشوفا :

« ان الروائيين الجدد يقولون بأن الحقل الأساسى للأحداث بالنسبة للروائى هو النفس ، والحق أنهم يفضلون أن يختبروا حالة الفرد النفسية فى ايقاعاتها اليومية أكثر مما يفضلون اختبارها فى لحظات الأزمات الأخلاقية أو الأيديولوجية ، غير أن هذه المهمة التى أخذوها على عاتقهم تنعدم أهميتها لو صح أن تتكشف نفس البطل بألوانها الحقيقية فى مواجهة الستار الخلفية للظروف والحالات اليومية » . وفى الوقت نفسه كثيرا ما تتدرج الرواية الجديدة بدرجات زهيدة من التجارب النفسية الى الوصف المعملى للدوافع الغرائزية ، وبالتالى تصبح مجموعة من الاستعارات والكنايات لعالم سخيف قوامه العبث .

واختتمت بالاشوفا مقالها بتأمل التناقضات بين النظرية الجمالية والممارسة الابداعية للرواية الجديدة التى أصبحت اليوم فى فرنسا اسما لمدرسة قائمة بذاتها ، يختصم حولها الكتاب والنقاد ، فمن رأيها ـ أى الناقدة السوفييتية ـ أن هذه المدرسة مهددة بعدوى خطيرة . ذلك لان الشكل لديها يحظى بالأهمية العظمى على حساب دلالة المضمون الحقيقى ، اذ نرى بين الشكل والمضمون فيها صراعا مريرا بدلا من أن

نرى اتساقا وتوافقا ، وهو صراع تستسلم فيه الفكرة وتسوده التجربة الشكلية ، أما مستقبل هذه المدرسة فمن رأى الناقدة انه مرهون بقدرتها على الاختيار ، فاما ابتكار مصطنع واما ابتكار حقيقى ، ولا وسط بينهما ٠

ونشرت الباحثة **تامارا موتيليفا** دراسة بعنوان «**مناقشات حول الرواية**»عالجت فيها قضية التراث الروائى ، وأفردت جانبا كبيرا منها لتحليل أعمال الروائيين مارسيل بروست الفرنسى وجيمس جويس الأيرلندى وفرانز كافكا التشيكى ، باعتبار أن ثلاثتهم حظوا فى المؤتمر بلقت آباء الرواية المعاصرة وأصحاب الطريق الجديدة فى الأدب المعاصر وقد اعترضت موتيليفا على هذا اللقب وأثبتت أن الثلاثة لايلتقون فى صفة معينة بقدر ما يختلفون أسلوبا ولغة ، شكلا ومضمونا ، بالاضافة الى انهم لم يكونوا يعبرون فى أعمالهم عن موقفهم من المجتمع تعبيرا يعتد به ٠ « **فكل منهم عبر بطريقته الخاصة عن** فلسفة متميزة تستمد أساسها من اعمال خصومهم الروس الذين ينتمون للمدرسة المنحطة ، بما جاءوا به من الحاح على خسة العالم ، وقوة الشر التى لاتغلب ، ووحدة **الانسان التى لاشفاء منها** » **ذلك لان بروست مثلا حاول أن يقدم تحليلا وتفصيلا لعملية الصراع النفسى واهتزازات الدوافع المحطمة فى الروح الرقيقة النقية ، لكن ذاتيته المفرطة أفقرت وشوهت الى حد ما صورة الحياة التى خلقها ، فى حين ان جويس فى روايته المعروفة «عوليس» ناشد العالم المختنق المحدود الذى تعيش فيه الطبقات المتوسطة الصغيرة من مأزق أفكار ابطاله الخفية ، ومن تصرفاتهم ، ومن أسلوبهم فى النظر الى العالم ، «غير أن مايثيره الوجود البدائى من اشمئزاز يظهر كوجود يثير الاشمئزاز فى مجموعه** » ٠ **أما كافكا الذى تنتمى شخصياته لعالم المحرومين والمستضعفين فان عنصر النقد الاجتماعى يظهر بوضوح فى هذه الشخصيات رغم النظرة الصوفية التى تسيطر عليها ٠**

وتضيف موتيليفا بأن فلسفة العزلة واليأس واستسلام الانسان أمام دوافع عدائية انما تعوق كلها ـ فى المدى الطويل ـ تحقيق المثل الانسانية التى سلم بها كل المؤتمرين فى بيانهم الذى أصدروه عقب المؤتمر ، وأكدوا فيه ضرورة العمل على خلق «**حياة جديرة بالانسان**» ، ومن ثمة فان الكتاب الروس لا يمكن أن يقبلوا المبادىء التى دعا اليها بروست وجويس وكافكا ، على الرغم من انهم يعترفون بموهبة كل منهم ومكانته فى تاريخ الادب ، وتلاحظ الناقدة أن تولستوى ودستويفسكى لم ينالا فى المؤتمر القدر الواجب من الاهتمام ، فتقول :

(ان تولستوى ودستويفسكى فوق هذا كله هما اللذان شقا الطريق ـ كل حسب طريقته الخاصة بالطبع ـ أمام تلك المكتشفات الفنية التى أثرت الرواية اثراء كبيرا فى هذا القرن ٠ ويمكن الرجوع اليهما فى كثير من مظاهر التجديد والابتكار فى بناء الرواية والتحليل العميق للموضوعات الفلسفية والذهنية داخل نسيج القصة

ذاته ، وكذلك فى النفاذ الجرىء الى أفكار الانسان المخبوءة والتصوير الواقعى لحركات اللاشعور ·· وقد كان المونولوج الداخلى فى جميع اشكاله المتعددة الاسلوب ، بما فيها «تيار الشعور» ·· حيلة مبتكرة استخدمها تولستوى على نطاق واسع لأول مرة · · وليس بروست أو جويس ، وكذلك كان العالم الروحى للمحرومين والمستضعفين ـ بما فيه أكثر مظاهر التمزق دهاء فى المعاناة الانسانية ـ اقليما امتلكه دستويفسكى عن اصالة أكثر مما هو ينتمى لكافكا ، غير أن الواقعيين الروس الكبار لم يفقروا صورة الانسان ، على خلاف ما فعله المعاصرون ، عن طريق عزله عن البيئة الاجتماعية ، فعلى العكس من هذا نجد أن تصوير الانسان فى كل مظاهر التعقيد التى تطبع ظروفه الاجتماعية وعلاقاته وخصوماته ومغرياته ومنفراته ، انما أصبح فى أيديهم وسيلة لتحقيق فهم ذكى وعميق للفرد لا يحلم به الكتاب اليوم ، وفى الوقت نفسه ساهمت الدراسة المتفحصة ـ من الناحيتين الروحية والعاطفية ـ لحياة الناس الذين ينتمون لطبقات وفئات مختلفة من المجتمع فى خلق البناء المرسوم بدقة درامية ، وكذلك فى تقطيع صورة المجتمع أو البلد أو العصر المحدد تقطيعا تركيبيا واسع المدى » ·

غير أن ثمة تأثيرا آخر لايمكن تجاهله عند الحديث عن الرواية فى القرن العشرين وهو تأثير جوركى الذى اعترف بفضله أعلام الرواية فى هذا القرن من أمثال رومان رولان وبرناردشو وتوماس مان وباربوس وبرخت ، لكن كيف يمكن أن يتحدث الكتاب الفرنسيون ـ كما تقول موتيليفا ـ عن مصادر الرواية المعاصرة وتراثها فى حدود ثلاثة أسماء فحسب ، متجاهلين التركة الغنية للأدب الغربى ؟ لقد نسى هؤلاء الكتاب أنصار مدرسة الرواية الجديدة وهم فى غمرة حماستهم أن يذكروا فضل رومان رولان مثلا أو مارتان دوجار ، أو توماس مان الذى مروا على اسمه مرور الكرام ، رغم انه بالاشتراك مع رولان قد رفض المفهوم النيتشوى (نسبة الى نيتشه) الذى يرى فى الانسان وحشا والمفهوم المنحط الذى يرى فى الانسان حشرة ، وبالتالى فاضت أعمالها بالتعاطف مع الانسان ·

ولم تنس موتيليفا أن تفصل القول فى قضية العلاقة بين الواقع والخيال ، وهى قضية أثارت جدلا كبيرا فى المؤتمر · فقد أكدت خطأ السعى وراء الأمانة الشبيهة بالمرآة بالنسبة لموقف العمل الفنى من الحياة ، ورفضت احلال الأحلام المزعجة والخداع القاتم محل الواقع الحى كما حدث فى روايات كافكا · كما أثبتت زيادة نسبة الروايات التى تعتمد على الحقائق أو الاحداث التاريخية أو وقائع الحياة ذاتها ، وهى زيادة أثبتت وجودها فى هذا القرن ·

وقد حدث أن أثار الروائى الايطالى **جويدو بيوفينى** فى هذا المؤتمر وجهة نظر مؤداها أن حياتنا الحالية أكثر تجريدا من حياة آبائنا وأجدادنا ، وان الناس الذين نلتقى بهم « **أقل واقعية وأكثر امتزاجا بالمفاهيم والآراء ·· لدرجة يمكن معها أن نمد**

أيدينا فنلمس هذه الآراء والافكار» • ولكن موتيليفا عارضت هذا الرأى ، وأخذت على الروائى الغربى رؤيته للفرد بمعزل عن ظروفه وارتباطاته التاريخية والاجتماعية والسياسية ، وأوضحت أن «**المفاهيم التعميمية التى تنتشر فى عصرنا مثل التقدم ، والتأخر ، والشعب ، والامة ، والسلام ، والحرب ، ينبغى أن تتشخص فى أفراد حقيقيين**» • وان قضية موقف الروائى من العالم المعاصر ، لاتنفصل عن قضية مسئولية الكاتب وواجبه المدنى ، وأن اليأس وخيبة الامل لايمكن أن يكونا بحال ، سمة الانسان المعاصر كما تراها الروايات فى العالم الغربى •

وأنهت الباحثة السوفيتية دراستها بالتشديد على مسئولية الكاتب ازاء مجتمعة وضرورة تعمقه فى دراسة الواقع وتحليله ، والا فشل فى اقناع قرائه ، وعجز عن مواجهة نفسه فى النهاية •

ومن جمهورية جورجيا كتب الناقد **فلاديمير ماشافاريانى** تحت عنوان « **مصير الرواية**» ، فأوضح جهود زملائه الكتاب من الواقعيين الاشتراكيين فى تطوير الرواية والارتقاء بها مكانة تحقق ماقاله جوركى من أن الأدب هو «دراسة الانسان» •

وقد اختتمت مجلة الأدب السوفييتى هذا التحقيق بالاشارة الى بعض الاخطاء التى وقع فيها اثنان من أنصار الرواية الجديدة فى فرنسا ، وهما ألان روب جرييه زعيمها وبرنار بنجو أحد دعاتها ، وقد حمل الاثنان على نقد الكتاب الروس لمدرستهم واتهما المؤتمر بأنه خاض فى مسائل السياسة بدل مسائل الأدب والرواية وأبديا أسفهما على استخدام زملائهم الروس لكلمات مثل «منحط» و «غير انسانى» فى وصف أدب الفرنسيين المعاصرين من دعاة الرواية الجديدة ، لكن المجلة فندت هذه الاتهامات وأوضحت فى نهاية تحقيقها حسن نية الروائيين الروس ونقادهم ، ورحبت بالتجديد فى الشكل ، لكنها رفضت أن يكون حكرا لجماعة دون أخرى ، ولكن **الأصح أن يكون جوهر التجديد هو تجويد المعرفة بالحياة وتطوير التعبير الفنى عن هذه المعرفة ، عن طريق التصوير الجمالى للواقع وللانسان ومشاكله ، على أن يكون هذا كله نابعا من التفكير فى الغاية والهدف ، وبذلك يمكن للرواية أن تساهم فى خلق « الحياة الجديرة بالانسان » فى هذا العصر** •

زوايا وأنباء :

• **أصدرت** دار دنويل الباريسية فى الشهر الماضى أول رواية بالفرنسية للقاص الجزائرى **رضا فلكى ، وتدور حوادثها حول الحرب الجزائرية وكفاح الجزائر من أجل استقلالها • وقد امتدح ناقد صحيفة « لانوفل أوبزرافاتير » أسلوب الكاتب الجزائرى الذى لم يسبق له أن نشر شيئا من انتاجه الروائى ، كذلك صدرت عن دار جاليمار رواية للكاتب الفرنسى جان بلو بعنوان « الأوهام الدامسة » ، وأخرى عن**

دار « دوسويل » للكاتب كاميل بورنكييل بعنوان « البحيرة » ، وكلاهما يتناولان موضوعات اجتماعية ٠

◆ **مات** الروائى الأمريكى **جاك لندن** عام ١٩١٦ ، وترك عددا من الروايات التى يدور معظمها حول المغامرات ، ومنها رواية كتبها عام ١٩١١ بعنوان « **مكتب الاغتيال ليمتد** » ، لكنه مات دون أن يتمها ٠ وفى الشهر الماضى صدرت الرواية عن دار **أندريه دويتش** بلندن كاملة بعد تولى الكاتب **روبرت ٠ ل ٠ فش** اكمالها ٠ وتدور الرواية حول مكتب للاجرام والقتل ، مركزه الرئيسى فى نيويورك وله ممثلون فى جميع أنحاء أمريكا ، يتولون ازهاق الأرواح بالعمولة !

◆ **ليلة فى لشبونة** ٠٠ عنوان الرواية الجديدة للكاتب الألمانى المعروف **اريك ماريا ريمارك** الذى اشتهر بقصته « **وقت للحب ووقت للحرب** » ٠٠ صدرت مترجمة بالانجليزية عن دار هتشنسون اللندنية ٠ وتدور حوادثها فى مدينة لشبونة عام ١٩٤٢ حيث يلتقى هناك اثنان من اللاجئين الألمان ، فيعرض أولهما ـ ويدعى جوزيف ـ على الثانى تذكرتى سفر بالباخرة الى أمريكا له ولزوجته ان هو أنصت لقصته مع النازية ٠ وقبل الثانى الصفقة بينما زوجته تنتظره فى مكان آخر بالمدينة ٠ ومن ثمة تبدأ «الليلة» ، ومعها قصة حياة جوزيف وفراره من الألمان وسفره الى باريس وحصوله على جواز سفر من رجل كان يحتضر ، وسفره الى ألمانيا لانقاذ زوجته ثم تجواله فى أوربا ووفاة الزوجة بالسرطان ، واستقراره فى البرتغال ، ثم تحويل جواز سفره وأوراقه التى ورثها من الرجل الميت الى اللاجىء المستمع ٠ وبعد ذلك يختفى الراوى ويبقى المستمع الذى يسافر الى أمريكا حيث طلقته زوجته بعد ستة أشهر من وصولهما!

◆ **آخر رواية للكاتبة الانجليزية ايريس مردوخ عنوانها « الفتاة الايطالية » ٠٠ صدرت عن دار « شاتو ووندوس » ٠٠ واعتبرها النقاد أكثر روايات عام ١٩٦٤ اثارة٠ والجدير بالذكر أن ايريس ظلت تعمل الى عهد قريب مدرسة للفلسفة بالجامعة ثم استقالت لتتفرغ للكتابة ٠ وقد صرحت مؤخرا بأنها تفضل روايات القرن الماضى على روايات هذا القرن ٠**

◆ **ظهر** فى باريس كتاب جديد للكاتبة الروائية **سيمون دى بوفوار** بعنوان : « **موت هادىء للغاية** » نشرته دار جاليمار ، وتحكى فيه قصة أمها مدام فرانسوار دى بوفوار التى كان لها تأثير كبير عليها ٠

◆ **رشحت بعض الدوائر الأدبية الانجليزية كاتبين افريقيين لنيل جائزة نوبل هذا العام ، وهما قصاصان من نيجيريا ، أولهما شنوا أشيب وله ٥ روايات عدا قصصه القصيرة ، والثانى أموس توتولا وله ٥ روايات أيضا ٠ ومما يذكر أن الكاتبين يلحان فى أعمالهما على الأدب الشعبى فى بلادهما ، وخاصة الأساطير التى يكثران منها مع التصرف فى دلالتها ٠**

• تعد القصص العلمية فى انجلترا جنسا أدبيا متميزا له قرائه ومتذوقوه • وقد صدرت فى الشهر الماضى عن دار « **فابروفابر** » مجموعة جديدة من هـذا اللون القصصى ، **قدم لها الناقد بريان الديس بمقدمة تحليلية مستفيضة • وقد ذكر فيها ان عمل القصص العلمية ليس التنبؤ بقدر ما هو التخيل ، وانها ان لم تخضع لقواعد القصة العادية وان لم تشمل أناسا عاديين فانها تكون قالبا متحجرا •**

• **فرانك أوكنور** كاتب قصصى معروف من أصل أيرلندى ، وقد اشتهر فى القصة القصيرة ، حتى **قارنه الشـــاعر الأيرلندى ويليم بتلر ييتس بتشيكوف ••** أصدرت له دار ماكميلان مجموعة جديدة من قصار القصص بعنوان «**المجموعة الثانية**»•

• **اشتهر الأديب البرازيلى المعروف جورج أمادو فى ميدان الشعر** ، وعد واحد من الشعراء الواقعيين الكبار ، لكن له محاولات فى القصـة والرواية ، آخرها رواية بعنوان « **الوطن هو البحار** » ترجمت الى الانجليزية ونشرتها دار « شاتو ووينـدوس » **تدور الرواية** حول رجل فاسـد **يعيش على خيـاله** وذكرياته يضطر الى **قبـول مركز قبطان سـفينة بعـد أن ينجح فى اثارة بحارتهـا الى صف انتصـاراته الـكاذبة فى الماضى •**

• صدر فى موسكو كتابان هامان تنـاولا حيـــاة وفن الروائى الـــكبير فيودو دستويفسكى أولهما بعنوان : (مشاكل الفن لدى دستويفسكى) من تاليف الباحث ميخائيل باختين ،وهو طبعة ثانية مزيدة لكتاب أصدره المؤلف قبل ثلاثين عاما ، ويعتبر من أهم المراجع لادب دستويفسكى • والكتاب الثانى ترجمة جديدة لحياة مؤلف «الأخوة كرامازون » من تاليف « ليونيد جروسمان » •